الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 47

منزلة الرضا (الجزء الثاني)

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الامين، وعلى اله واصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته، واستقام على شرعه الى يوم الجمع والدين، نحن في منزلة من منازلي اياك نعبد واياك نستعين، وهذه المنازل منازل السير الى الله عز وجل، الغرض منها تهذيب القلوب، السلوك وتقويم الاخلاق وينبغي ان نعلم ايها الاحبة الكرام ان السيل الى الله عز وجل بهذه المقامات ينبغي ان يخرج من كونه اطارا نظرية، ما مسألة كلام يقال فقط؟ ويستمع اليه الناس، انما يراد بهذه المنازل التأدب بادابها والتخلق باخلاقها، والمؤمن يعيش وهو يجعل كل حركته لله عز وجل، فهو يحقق العبودية دائما، ويدور معها، في احسان معاملة اهله، في الاحسان الى جيران في دماسة خلقه في حسن معشره في طيب تعامله بل حتى اذا اوى الى الفراش ينام يقول اللهم اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى الا منك واليك امنت بكتابك الذي انزلت ونبيك الذي ارسلته، فاذا المؤمن يعيش من اجل عبودية الله، ولذلك خلاصة الدين في اياك نعبد واياك الدين كلو لانه يحوي الاداب والاخلاق والتعامل ويجعل ذلك عبادة.

كنا قد تحدثنا عن منزلة من منازل اياك نعبد واياك نستعين، وهي منزلة الرضا، وقد تحدثنا عن ابن القيم يرى ان الرضا عبودية الرضا هي باب الله الاعظم، ويرى انه تاج العارفين، ونعيم العابدين، الرضا بالله ولعلنا تحدثنا عن تعريف الرضا لو تذكرون وعن مقدماته والان نود ان نتحدث عن بعض قضايا الرضا المحبة هكذا

يسميها ابن القيم، الرضا والمحبة، يرى ابن القيم ان الرضا والمحبة من حيث العبودية ومن حيث انها حال يطرأ على القلب، اثبت وارسخ من الرجاء والخوف، يرى ان الرجاء خوف ينتهيان بتحصيل ما ترجو واجتناب ما تخاف، دخول الجنة يعني انتهاء الرجاء وانتهاء الخوف، فانت تخاف النار وقد امنت، وترجو الجنة وقد دخلت، اما الرضا عن الله ومحبته تلازمك وانت داخل الجنة، ولذلك جاء في حديث الله عن اهل الجنة بعد ان حكى عن نعيمهم قال ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ اكبر من كل نعيم، ولذلك يرى العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ان الرضا اثبت، وان الرضا اعلى، لكن بدأ يحدث عن بعض ما يقوله الناس انه يخالف الرضا من حيث المفهوم، وقد تحدثنا عنه في درس ماضي ولكن من باب الاضاءة.

هل الرضا يخالف الاحساس بالالم؟ والخوف من المكروه؟ الاحساس بالالم، زول مرض، واتألم الم شديد، هل هذا ينافي انه ليس بصابر ولا راضي؟ لا ينافي، لان الضجر من المرض، والاحساس بالالم مما يلازم ومما لا مفر منه، في زوج بيمرض ما بيتألم، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام كان يقول رأساه وكانت تأتيه الحمى ولا يستطيع ان يقوم حتى يسنده رجلان، الاحساس بالالم جزء من تركيب البشر، وهو جزء من طبائع الناس، ولا مفر من ذلك، لذلك يرى ابن القيم ان الاحساس بالالم لا ينافي الرضا، باقدار الله واقضيته، ثم يقول فانت قد تحب الشيء مع ما فيه من كره ودي اخوانا يعني لطيفة جدا من ابن القيم، يقول المكاره والمصائب لا يحبها المؤمن ولا يتمناها، ولكن له في حشايا المكاره والالام خيرا، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن امره كله خير، ان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له، قال كالمريض الذي يتعاطى الدواء الكريه المر، ولكن تحصيل الشفاء وطلب الشفاء يجعله يصبر على مرارة الدواء.

وكذلك المؤمن تصيبه المصائب، تنزل به الاقدار وتقع به الابتلاءات، مرارتها ينساها بتذكر النعيم والاجر الذي سوف يلقاه في الجنة، فاذا ذكر ذلك هانت عليه مصيبته، الا ترى مريضا لتعاطي الدواء مع كره له، واحيانا يكون الدواء يقطعوا ايدك، احيانا يشقوا لك ايدك ولا يعملوا لك عملية، جراحية، ولذلك يرى ابن القيم ان الاحساس بالالم وحصول المكاره، بل بالمناسبة يا اخواننا الانسان قد يكره الشيء ولكنه يكره الشيء المشروع ولا يكره مشروعيته، بمعنى شنو؟ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ الزول يكره القتال لكن ما يقول الله اللي عمل قتال يا اخي ما كان يريحنا ده كفر، كويس؟ فرق بين ان تكره الشيء المشروع لعدم مقدرتك عليه وبين كراهية مشروعيته، فرق ولذلك المؤمن يرضى بالله عز وجل، طيب بعد ذلك الجزع في الالم ينافي

الصبر، والرضا اعلى من الصبر، يقول لك انا عندي صداع ومشى الدكتور ووصلت للدكتور انا متألم كدا منافي الصبر هذا ينافي لانه الصبر اصلا في الدروس التي مضت تعريف الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الادب، ان تقف مع البلاء بحسن الادب، تتأدب، الشكوى مجرد الشكوى خاصة.

لمن يستطيع؟ لان يزيل العلة فهذا جائز، في البخاري ان عائشة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم وا رأساه، قال لها بل انا وارأساه، يعني قلت له عندي صداع، حكاية الحال لا ينافي الصبر لكن الجزع والانين ورفع الصوت هذا مما لا شك فيه ينافي الصبر، طيب ابن القيم هنا يتحدث الوصول الى الرضا، يا اخوانا الرضا جميل، كيف الطريق اليه؟ يرى ابن القيم ان طريق الرضا قصير، قصير جدا لكنه شاق لماذا؟ لان فيه خروج من النفس، يعني لن تكون راضيا ما لم تخالف اهواء نفسك وما لم تخرج من حظوظها، ولذلك يقول ابن القيم اذا كان الرضا سكون القلب الى قديم اختيار الله فتيقن ان الله لا يختار لك الا الافضل، انت ما عندك اختيارات كتيرة، يا اخوانا شوفوا والله الكون ده اقسم بالله، العالم دي اشكال والوان، الاختيارات مختلفة، بت ولا ولد؟ طويل ولا قصير؟ لونه شنو؟

عيونه يا اخي تفاصيل عجيبة، شكلها حيشتغل شنو؟ وحينجح ولا ما حينجح؟ وحيتزوج وحيجيب كم من الذرية، والذرية حتكون اشكالك كيف؟ ربنا اختار جميع العباد اختار لهم اختياره الكوني، وانفذ عليهم قدره سبحانه، عشان كده هو الباري والخالق البارئ المصور، شكل العيون في الاطوال في الفهم في طريقة الكلام سبحان الله، انت كان مسكت اختياراتك انت بس، لمن تلم الاختيارات دي كلها مع بعض، ويطلعوا ناس دكاترة وناس شغالين، وزور بتاع دكان، زور صاحب الحفلة وزوج سواق فيها وزوج كمسري، كويس اختيارات تقيلة، يعني شوف الزول الواحد دا النفر الواحد دا يكاد يتقلب في اليوم والليلة في مئات الاختيارات، ربنا شوف يختار لك احد يوريك انت تكون مطمئن، ما تقول يا والله لو كنت بقيت دكتور كبير كان يكون احسن، احسن لك كده لان هذا هو اختيار الله لك، واختيار الله اختيار لجميع خلقه مع التفاعلات، الخلق دول متفاعلين شفت كيف؟

امسك عمارة وحدة تلقي فيها غفير وتلقى فيها البواب يا اخوانا خلق الله عز وجل يعني بديع فعلا ولذلك سبحانه وتعالى دائما يحدث عن نفسه بانه خالق، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ وسبحان الله الغريبة لو انت شوف حكمة الله لو في زول واحد من البشر عمل لك حاجة؟ انت بتقول ده ليه؟ وقاصدني وكده، لكن ما في زول الله قاصدني، لا في غفير قال الله قاصدني، لا في عتالي قال الله قاصدني، لا في كمساري قال الله قاصدني،

مبسوطين جدا، الذي هو شنو؟ الرضا باختيار الله لك، مع يقينك بان اختيار الله لك افضل من اختيارك لنفسك، دي القاعدة الاساسية في الرضا، عشان كده الرضا سكون القلب الى قديم اختيار الله، يا اخي ده كلام جميل خلاص، سكون القلب الى قديم اختيار الله لك، طيب هنا يقول ابن القيم الرضا به والرضا بما هو منه، في اثنين الرضا به اجل من الرضا بما هو منه، الرضا اللي هو منه بيجيب لك حاجات.

مصايب خير كله، الرضا اللي بيقوم منه ده متعلق بحظوظك انت، اما الرضا به متعلق بذاته وتعظيمه، واجلاله وربوبيته وقهره فوق عباده والدخول تحت سلطانه، وذلك يوجب ان الرضا بالله افضل من الرضا بما هو من الله، لان الرضا بما هو من الله يمكن ان يدفع، قال له جاني مرض، او ممكن اقول من الله قدر الله وما شاء فعل لكن ده ما يمنع اني استأنف، واعيد الكرة اما الرضا بالله فمستقر، وثابت وفي القلب راسخ، طيب فاذا هنا محدث ابن القيم عن قضية اخرى وانا سوف اسلط عليها الضوء ايضا، هذه القضية يقول ابن القيم قال اياكم واستحلاء الطاعات فانها سموم قاتلة، واستحلاء الطاعة ما تقول تفتح لي الطاعة، ما معنى هذا الكلام؟ طيب نقوم ندخله في الرضا، يرى ابن القيم قاعدة في الرضا، يقول استعمل الرضا جهدك، ولا تدع الرضا يستعملك، انت تستعمل الرضا، لكن ما تخلي الرضا يستعملك، كيف الرضا يستعملك؟

تقوم تفتخر برضاك وتدعي انك من اصحاب الرضا ومقامات الرضا فيصيبك الغرور، يعني استعمل الرضا، خليك راضي، ولا تدعيه، ابن القيم عنده قاعدة بديعة جدا، ونفس هذه القاعدة هي عند العلامة ابن تيمية رحمه الله، واخذها ابن القيم من ابن تيمية يقول شنو؟ يقول طغيان المعصية ايسر من طغيان الطاعة، طغيان المعصية، طائع الله، وطاعة الله تفضي به الى كبر وغرور، فيصبح في المنزلة والسوء اسوأ من العاصي، لان العاصي مقر بعصيانه خامل مؤنبه ضميره قلق، وذليل اما صاحب الطاعة اقرب الى الغرور لان في الطاعة عز فقد يستهويه عز الطاعة فيتعالى ويتكبر وضرب مثالين عبارة عن مقارنة بين شخصيتين، بين شخصية حمار عبدالله وهو صحابي جليل، اسمه عبد الله كان يلقب بالحمار كان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه يشرب الخمر، الحديث البخاري، وحتى من ضحكه كان يأتي للنبي عليه الصلاة والسلام بالهدايا، يجيب له هدية من الاطعمة والاشربة والالبسة، ويأخذها بالدين، فاذا طالبه اهلها جاء بهم الى النبي وقال ادفع للناس حقهم، يقول ادي الناس حقهم، يا اخي ما قال لك يتدين لي يقول لك قم فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم عليه الصلاة والسلام ويعطيهم المال.

ويشرب ويجلس الصحابة لما ضاق بعضهم لعنه بعضهم، قال يا اخي ما اكثر ما يؤتى به لعنه الله ولا يتوب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه انه يحب الله ورسوله، طوالي ضرب مثال مقابل له بذي الخويصرة التيمي ما كان من اهل المعاصي الظاهرة انما كان من اصحاب العبادة لما جاء ذو الخويصرة جاء ناتي الجبهة غائر العين من طول القيام وكثرة البكاء، وكان اذا وقف يصلي ربما ركع الركعة الاولى بسورة البقرة، والثانية بال عمران في النافلة، يحقر احدكم صلاته الى صلاتهم وصيامه الى صيامهم، جاء وقال للنبي عليه الصلاة والسلام الطاعة هذه تملكته، فظهر بمظهر المتكبر حتى تتعالى وتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله هذه قسمة ما اريد بها وجه الله اعدل يا محمد فانك لم تعدل، قال ابن القيم عبد الله حمار ادخل الفرح والسرور على رسول الله وذو الخويصرة اتهمه بعبادته كان عابدا وزاهدا فادخل الحزن على قلب رسوله، صلى الله عليه وسلم، ولذلك ذو الخويصرة طغيانه طغيان طاعة، وعبد الله الحمار طغيانه طغيان معصية، طغيان معصية ايسر لان المعصية توجب اوبة اذا احس بها الانسان ولا تزال المعصية تلسع فؤاده وتؤرقه وتقلقه حتى يرجع الى الله ويتوب في يوم من الايام اما من في نفسه كبر او عجب فانه لا يرجع الى الله.

شفت حاجة عجيبة خلاص لذلك يرى ابن القيم مسألة عجيبة جدا في طغيان الطاعة وطغيان المعصية يقول شنو؟ اسمع هذا الكلام، يقول الكبائر الباطنة اخطر من الكبائر الظاهرة، ولذلك ينتقد بعض المتدينين، الذين لا يركزون من التدين الا على ظواهرهم، اخوانا الدين سهلة، الجلابية تقصيره ساهل ترزي بس الصعب استقامة اللسان واستقامة القلب صعب استقامة الجوارح لا نقلل من شأن السنن، بل هي من السنن المهمة، ولكن اقول قد تجد بعض الناس يحرص على السنن الظاهرة، ولكنه بلسانه يتكلم فيفري، ويسلق فيغني فلا يدع عالما ولا جاهلا ولا كبيرا ولا صغيرا الا وقع وتكلم فيه، من الشباب الملتزم بالسنن الظاهرة، اصعب شيء في الاستقامة استقامة القلب واستقامة اللسان، ثم استقامة شنو؟ الجوارح لذلك ينتقد ابن القيم يقول من الناس من ينزه نفسه عن الكبائر والقبائح الظاهرة كالزنا والربا وشرب الخمر ويأتي بقلبه فيرتكب الكبائر الباطنة وهي اشد واشق كالكبر والعجب والرياء والحسد، صح ولا ما صح؟

لذلك هذه النقطة نسميها ابن القيم استعمل الرضا، جهدك؟ ولا تجعل الرضا يستعملك، يعني ما تدعي الرضا، اذا رضيت لا تدعيه، ولا تقف عند الرضا، ابن القيم يرى ان هذه القاعدة لا تختص بالرضا، قال هذه القاعدة عامة في جميع الاحوال والمقامات القلبية التي يسكن اليها القلب، فانت للرضا ثمرات صح ولا ما صح؟ في ثمرات ولا ما في ثمرات؟ ما هي ثمرة الرضا؟ الطمأنينة والسكينة، الرضا؟ اعلم ان ما اصابك لم

يكن، ليخطئك، وانما اخطأك لم يكن ليصيبك، بتكون مطمئن جدا، الرضا يولد سكون القلب، محبة الله تولد اللذة، قال فلا ترضى لتحقيق ثمرة الرضا، والا استعملك الرضا انما ينبغي ان ترضى ليرضى الله عنك، واحب الله ليس لتحقيق لذة انما لاجل ان الله يحق ولانك مأمور بهذا، لماذا تصلي؟ طاعة لله ولكن بعد الصلاة تشعر بكثير من الامور والراحة والطمأنينة، هذه تأتي طبعا لكن لا تقول والله انا اصلي عشان، تصلي لانك عبد، لا تجعل الرضا يستعملك، استعمل انت الرضا، كل المقامات هكذا، طيب، الفيصل وين؟

الفيصل في انه تقول ان ربنا راضي علي لا تزهو بهذا على خلق الله بس، لا تتطاول على بقية خلق الله، تكون متواضع، زي ما يقول انا الله راضي علي، يدفعه هذا الى ان يظن انه بعد ذلك قد تجاوز القنطرة، شكر الله ليس في اشكال، الاشكال ان يتعدى هذا الى سلوك فيه تعالي على بقية خلق الله، طيب الرضا ذكر ابن القيم ان من اقسامه رضا العوام، هو بما قسمه الله واعطاه ورضا الخواص بما قدره وقضاه، انت بترضى به اما رضا خواص الخواص انهم لا يرضون بدلا ولا يرضون بسواه، ده كله كلام ابن القيم مقدمة عن الرضا، بدأ يدوب كلام الهروي، قال الهروي قال صاحب المنازل، قال تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ طيب الهروي يقول لم يدع في هذه اية للمتسخط اليه سبيلا، ده كلام اشرحوه، والشرط القاصد الدخول في الرضا والرضا اسم للوقوف الصادق حيثما وقف العبد، لا يلتمس متقدما ولا تأخر ولا يستزيد مزيدا ولا يستبدل حالا هو من اوائل مسالك اهل الخصوص واشقها على العامة.

ده كلام منو؟ ده كلام الهروين نشوف الشرح بتاع ابن القيم هذه الاية اختلف اهل العلم متى يحصل هذا؟ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ متى تخاطب النفس بهذا الخطاب؟ ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ قال بعضهم وهذه رواية الحسن البصري ان ذلك عند الموت، لانه في فزع شديد يا اخواننا عند خروج الروح يعاين العبد عالم ما وراء المادة، يرى عوالمه ويرى ملائكة ومخلوقات ولم يرها منذ ان خلق، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فهو في سكرات الموت يعاين اهوال شفت كيف وسبحان الله الناس يموتوا زاته حتى في الموت اختيارات عجيبة يا اخي ربنا ده والله ﴿الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ زرت اتحرق في عربية زور في طيارة زور بالملاريا زور يعني جلطة في الراس زول دخل في غيبوبة الغرق ده صعب بالمناسبة الزول بيطلع روحه بعد كم؟

بعد ما مرق بيطلع روحه طوالي والملائكة تجره يا اخوانا الشي دا فوق التصور البشري عشان كدا بيعاني جدا بالمناسبة لانه بدل النفس حيكون في موية بدل ما يتنفس حتخش موية يعني شوف بعد كم بيموت بياخد كم ربع ساعة تلت ساعة دي معاناة ثقيلة جدا ولذلك شوف عند الموت اذا ارادت الملائكة قبض روحه طمأنته، قال اخرون انما ذلك عند القيام من القبور، وعند البعث والنشور وهذا قول عكرمة وعطاء ابن ابي رباح تلميذ عبد الله ابن عباس، ده تفسير وتفسير حسن ان هذا عند الموت ترجيح ابن القيم يا اخي ابن القيم ده عجيب، قال وهذا يقال عند الموت وعند البعث، فتوجد في الاية عبارات تقال عند الموت وعبارات تقال عند البحث، شف الاختيار ذا عجيب كيف العبارات التي تقال عند الموت يا ايتها النفس حي لا يقال النفس الا لانسان حي، المطمئنة ارجعي الى ربك، راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ده يوم القيامة بعد البحث، فاذا جزء من الكلام تقوله الملائك عند الموت وجزء من الكلام تقوله الملائكة عند البعث والنشور لان ذلك ايضا فيه من الاهوال ما فيه.

طيب راضية مرضية راضية؟ بالرضا الرضا عن الله، مرضية اي رضي الله عنها كقوله تعالى ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ رضي الله عنهم بان قبلهم ورضوا عنه بانهم امنوا به ربه، واستيقنوا به الها وانقادوا له ورضوا احكامه الشرعية الكتب التي انزلها والشرائع التي فرضها واحكمها رضوا بها واخذوها ولم يترددوا في العمل بها ورضوا باقداره الكونية ما قدر عليهم من المصائب فلم يتضجروا وصبروا وبذلك استحقوا الجنة، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ وما معنى؟ فادخلي في عبادي، اي كوني مع الصالحين، كون الله يقبلك عبد له هذا شرف لك، لانه يا اخوان انت تشتغل مع الرئيس سهلة ها تشتغل مع ملك سهلة اذا قبلك بالعبودية ان تكون عبدا له بما زادني شرفا وفخرا، وكدت باخمصي اطأ الثريا دخولي تحت قولك يا عبادي، وان سيرت احمد لي نبيا، هذا شرف والله، ولذلك يقول الرضا اسمه للوقوف الصادق حيث وقف العبد، معناها حيث وقف العبد يعني حيث اوقفه الله يعني الله كان عمل لك حاجة قد تكون هنالك مصائب وانت تراها ابن القيم ده في منزلة الرضا بعد شوية يقول ان وقوع الاقدار التي في ظاهرها انها شر لعباده فيها من الخير وفيها من الحكمة الشيء الكثير.

وهذا الذي يجعلك ترضى، لانك توقن بانه ليس بظلام للعبيد، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ طيب يقول الهروي وهو على ثلاث درجات، الدرجة الاولى رضى العامة، رضى عامة الناس، وهو الرضا بالله ربا، عبادة ما دونه، وهذا قطب رحى الاسلام هو يطهر من الشرك الاكبر، هنا اختلف ابن القيم مع الهروين، قال ان ترضى بالله معناها ان ترضى بالله وحده والا ترضى بعبادة من سواه، بل ان تسخط ذلك ما تكون راضي، ابن القيم قال

كيف هذا يكون للعامة؟ كان الهروي يرى ان هذه المنزلة منزلة العامة، المنزلة التي يراها الهروي انها اعلى ان ترضى بالمصايب، ابن القيم يقول لا الرضا بالله ربا اجل من الرضا بافعال الله فيك، وهذا الذي قلناه لان الرضا بافعال الله المصائب انت لا تقف عندها بل انت مطالب بشنو؟ بدفعها واحد عيان يقول الله جاب لي المرض ندفع قدر الله بقدر الله الصحابة لما سمعوا بطاعون الصحابة فقالوا يا امير المؤمنين اتفل من قدر الله؟

قال افر من قدر الله قدر الله ورجع وبعد ما رجع جاء عبد الرحمن ابن عوف وقال معي حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام اذا سمعتم ان الطاعون في بلد فلا تدخلوها فعمر قال الحمد لله الحديث ده ما كان عارفه قال الحمد لله وهذا من موافقاته للسنة فكثيرا ما يوافق شنو؟ رضي الله تعالى عنه، لانه يعني ده من العلم شف اجتهد بس اجتهاد ووافق شنو؟ السنة رجع ولذلك الرضا باقدار الله لا يستلزم الوقوف عليها زوج يقول انا الله بقاني خلاص كذا كويس عنده مرة ما ولدت لا الدكاترة شوفوا ادوية شوفوا العلاجات خلها تعمل عملية عمل كده انت شوف انت مالك عندك ضعف شوف خلي يدوك المقويات وتجيب ذرية ما تقول لا انا الله داير لي كده يرضى بها ولا ترى عند النهايات لما تصل يقول لك والله انت زي ده ما بنجب قول الحمد لله ربنا اراد بنا خير ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؟

ولذلك الرضا بالله اقوى اعلى كيف هو الذي يخرج من الشرك الاكبر ويطهره ويجعله موحدا، قال ابن القيم شارحا هذا الكلام بالله ربا الا يتخذ ربا غير الله يسكن الى تدبيره، قال تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذا يعني اذا رضيت بالله ربا الا تنزل حوائجك الا به، شخص يقول لك انا رضيت بالله ربا، وتأتيه المصيبة فيجزع، وتنزل به المشكلة فيتضعضع، وتلم به الكربة فيتزعزع، ويفقد تماسكه، وينهار سرعان ما ينهار يا اخوانا باب القدر والتأمل فيه باب يقوم على سر عظيم، ومعرفته مفيدة طول ما انت عارف ان الله كتب والكون ده بيدبره ربنا وبيسيره هو انت بتطمئن جدا طيب ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ معناها شنو؟ معناها الرضا بالله انت ترضي الله؟ والي من يوالي الله، وعادي من يعادي الله، والا ما يكون في رضاك، انت مش ترضي الله؟

وللمؤمنين وعادي الكافرين والمنافقين، والا يبقى انت ده ضعف اخواننا والله في مقولة عجبتني شديد جدا، قالها ابو الوفاء ابن عقيل الحنبلي قال اذا اردت ان تعرف دين الناس فلا تنظر الى كثرة ازدحامهم وضجيجهم على ابواب الجوامع ولا كثرة ضجيجهم وصياحهم بلبيك في عرفة ولكن انظر موقفهم من اعداء الله، فلا يزال ابن الرواندي والمعري يهاجمان الاسلام ويطعنان في احكامه ويتلو الناس اشعارهم ويحبونهم، وهذا يدل

على برود الدين في قلوب الناس، انتهى كلامه الحج لبيك اللهم لبيك، شنو لبيك؟ لبيك لا شريك لك لبيك، لا شريك لك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، لا بد ان تنفي الشركاء ويلزم ذلك معاداتهم والوقوف ضدهم، بل هذا من الدين ومن صميم الدين، يا اخي والله كلام ابو الوفاء ابن عقيد الحنبلي ده عجبني شديد، الرضا بالله يلزم ان لا تتخذ معبودا ولا نصيرا ولا غيره وان تبتغيه ربا وحكما بان توالي من يوالي وان تعادي من يعادي، طيب هذي الثلاثة يا سلام الكلام الجاي ده كلام لطيف جدا الكلام الذي سوف يعني اذكره الان ان تتخذ الله ربا وترضى به وذلك لا يكون الا بان تتخذه وليا.

ما في ثلاثة ايات، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ابغي ربه في الملك والتدبير، اتخذ وليا في العون والنصرة، ابغي حكما في الموالاة والمعاداة، هذه الثلاث لا تتحقق الا بثلاثة شروط، قال الهروي هو يصح بثلاثة شروط، ان يكون الله عز وجل احب الاشياء، واولى الاشياء تعظيم والاحق بالطاعة، يعني انت عشان تحقق التوحيد هذا كلام لطيف، كلنا نقول شنو؟ واحد بيقول لك انا شنو؟ موحد، ثلاثة شروط، اولها ان يحب ثانيها ان يعظم الله، ثالثها ان يطيع الله، طيب المحبة هل احنا بنحب الله يا اخواننا؟ ده سؤال، هل نحن ممن يحب الله؟ ايضا بيدعي، انا بحب الله، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ قال اول لتحقيق المحبة ان تسبق محبته الى قلبك كل محبة، ان تقهر محبته في قلبك كل محبة، وثالثها ان تكون كل محبة تابعة لمحبته، وكذلك في شنو؟

في التعظيم، ان يسبقك تعظيمك له كل شنو؟ تعظيم وان يقهر تعظيمك له كل تعظيم، وان يكون كل تعظيم للبشر تابعا، بتعظيمه فانت لا تعظم من البشر الا من امر الله بتعظيمه، ولا تعظمهم تعظيما ينافي تعظيمه سبحانه فيجعل ذلك شركا، اذا دي الدرجة الاولى من درجة شنو؟ الرضا عند من؟ عند الهروين، يقول الهروي والدرجة الثانية، من الرضا الرضا عن الله، قوله الدرجة الاولى معناه التوحيد للدرجة الاولى اعلى من اشنو؟ الرضا عن الله، وما معنى الرضا عن الله؟ قال الرضا عن الله، قال وبهذا نطقت ايات التنزيل، وهو الرضا عنه في كل ما قضى وقدر، ابن القيم يرى ان التوحيد منازل الخاصة وان الرضا عن اقدار الله منازل شنو؟ العامة شوفوا الحجة، قال ابن القيم وانك لترى بعض الكفار يصبر اقدار الله التي اجراها عليها ولا يتضجر، فالرضا عن اقدار الله قد تقع من مؤمن وشنو؟ وكافر، اما الرضا عن الله وتوحيده لا يقع الا ممن؟

الا من فقط، طيب ماذا يقصد؟ الهروي بقوله التنزيل، قال وبهذا نطق التنزيل، الرضا بمن؟ بالله، قلنا لان الرضا بالله متعلق بذاته وصفاته، والرضا بقدره متعلق بافعاله، التي يمكن ان تدفع، فلو انه جاءك مكروه، الله يا اخوانا البوكس انقلب، وكل واحد ينكسر ولا ما تمشي، تقول قدر الله وما شاء فعل اي حاجة الله مقدر

لك، لكن انت كيف حالك؟ اما الرضا بذات الله وصفاته واجلاله وتعظيمه مهم، بدأ ابن القيم يرد على الهروي في كلام طويل جدا، يقول التوحيد الذي هو الرضا بالله واجب، اما الرضا عن اقدار الله فليس واجب، قد يكون مستحب، وقد يكون واجب، وقد يكون مباح، يا اخوانا انا بعتبره درس في غاية الاهمية عشان كده ربما اؤجله الى الدرس القادم، ليه؟ لانه حيتكلم عن القدر بوضوح، ما معنى القدر؟ الانسان مسير، طيب الله كاتب اية؟ طيب كان الله كاتب ليه الله يحاسبه؟ الاشياء ناقشها ابن القيم في هذا الرضا والله الكلام من الطف الكلام الذي يعني كتب بس انا خايف في القدر لكن القدر ده يا اخي باب عظيم يا اخي بعدين يعني خطر من الصعب فهمه.

لذلك في حديث صحيح اذا ذكر القدر فامسكوه، والله بحر لا ساحل له ولا قرار له، والله تروح وتغرق وعمل كذا ليه؟ والشيء ده كده ليه؟ وبعد كتب وشقي وسعيد ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ المهم حتى نختم هذا المبحث الرضا بالله اجل من الرضا عن اقدار الله، ابن القيم يرى ان الرضا بالله اصل والرضا عن اقدار الله فرع، انما رضيت بقدره لانك شنو؟ لانك رضيت به ربه، ولذلك هو اجلك، ويرى ابن القيم ان الرضا عن الله واقداره مرتبط بالثواب، والجزاء، اما الرضا بالله عز وجل هو اجل ذلك كله، حتى من حيث الثمرة فثمرة الرضا بالله اجل من الثمرة الرضا شنو؟ عن اقدار الله سبحانه وتعالى، قال وبهذا الرضا نطق التنزيل، يعني ذكرت الرضا في التنزيل من حيث الثمرة والجزاء مثلا الاية قال الله ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وقال ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فنطق التنزيل بهذا شنو؟ بهذا الرضا، هذا معنى به التنزيل، الدرس القادم الحديث عن اقدار الله عز وجل والتعامل معها، كيف نتعامل مع شنو؟ مع قدر الله سبحانه وتعالى، اسأل الله تعالى ان يوفق وان يتقبل وبارك الله فيكم، والسلام عليكم.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/47/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com